رحلةُ الإلحاد

قصيدة كتبتها على لسان ملحد ، سنة ١٤٠٣هـ ، أُبيّنُ فيها آلامَ الإلحاد وضياع المعنى من حياة أصحابه، وأنهم يزدادون ضياعا وألما بسبب بُعدهم عن هداية الوحي .

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٢

وكانت هذه القصيدة ثمرة اعكتاف طويل مع شعر أبي العلاء المعري وما تضمنه شعره من تناقضات إيمانية وإلحادية ، ومع كثيرٍ مما كُتب عنه . وأبو العلاء هو فيلسوف الشعراء والأدباء ، رهين المحبَسَينِ : بيته وعماه ، وشكّه وتمرّده .

ذاك الفـؤادُ يهـيمُ في الآمـادِ		مُتَطَلِّبًا في الغَيْبِ جَذْوَةَ هادي
يرجـو الحقيقـةَ كلـما لمعـتْ لـه		خِـدَعُ الوجـودِ بغيهـبٍ مـتمادي
يسري ، ولا يدري حقيقةَ سيرِهِ		إدْلاجُـهُ مُـتَبلِّجُ الأضـدادِ
لم تَثْنِـهِ لُـجَجُ الحيـاةِ ومَهْمَـهٌ		يُفْنـي الحيـاةَ ولـيس ذا إنفـادِ
يَرْنو إلى الجسدِ السجينِ بجوفِهِ		ويقول : خَلْفَكَ عُنصرُ الأجسادِ
لو كنتُ أنفذُ من صُفُودِ عوالمي		لتَفَصَّـحَتْ ماهيّـةُ الأصـفادِ
أَسْرَىٰ لهـذا الـزورِ مـن أجسـادِنا		فـإلى متـى زورُ الـورى مـتمادي

**

فسـألتُ عـن كـل الوجـودِ وجـودَه		فأجـابني مُسْتَـبْهِمَ الإيجـادِ
ولقد ظننتُ شُخُوصَنا ووجودَنا		حُلْـمًا عميقًـا ينتهـي لِـبَدادِ
لكـنَّ صرخـاتِ العـذابِ بـداخلي		تُـنبي بغَـوْرٍ واسـعِ الأبعـادِ
فاسْتلْغزَ السِّرُّ الأليمُ بكُنْهِهِ		وتقـاذفتني حَـيرتي وعنـادي

**

فوقفتُ رحلي عند هاويةِ الرّدَىٰ ... مـا بَعْـدَ سَـدِّ المـوتِ مِـن أسْـدادِ
لكــنَّ مــا بينــي وبــين غُيوبــه ... أُمُـــدٌ بعيـــداتٌ وخَـــرْطُ قتـــادِ
فهممتُ إلقاءً بنفسي في الرّدَىٰ ... فخشـــيتُ أني لا أراه مُـــرادي
وخشــيتُ أني لــو وَرَدْتُ منيّتــي ... أَجِـــدُ الحقيقـــةَ مُـــرّةَ الإيـــرادِ
فثنيتُ رحلي ، ثـم عُـدتُ مُسـايرًا ... رَكْـبَ الضـياعِ ومَهْمَـهَ الإلحـاد